گۆڤارا زانستێن مرۆڤایەتی یا زانکۆیا زاخۆ
مجلة العلوم الانسانية لجامعة زاخو
Humanities Journal of University of Zakho (HJUOZ)
Vol. 5, No. 4, pp. 1061–1068, December-2017
hjuoz.uoz.edu.krd
p-ISSN: 2410-7557
e-ISSN: 25185128
journals.uoz.edu.krd

الحياة الاجتماعية و الاقتصادية للطبقة العامة في المجتمع العراقي في العصر العباسي

محمد صديق حسن

قسم التاريخ، فاكولتي العلوم الإنسانية، جامعة زاخو، اقليم كوردستان – العراق.

تاريخ الاستلام: 09/ 2017 **تاريخ القبول:** 2017/12 **تاريخ النشر:** 2017/12 *https://doi.org/10.26436/2017.5.4.497*

الملخص:

دراسة المجتمع الاسلامي من موضوعات التاريخ المهمة، والتي تكشف عن مظاهر الحضارة الاسلامية والتي لم تكرس لها جهود كافية للكشف عنها وإبرازها للوجود وكما أبرزت بعض صفحات تاريخنا المشرق التركيب الاجتماعي لطبقات المجتع الاسلامي المتعددة، لذا استمد البحث تلك المادة من مظان متعددة وتناول التاريخ الذي صنعه المجتمع العراقي وخاصةالطبقة العامة منه، والتي تضم في تكوينها الصناع والحرفيين والزراع ومختلف الاصناف في المجتمع كاصحاب المهن من الدباغين والحماليين والسماكين وباعة الدقيق والسقطات وغيرهم كثير كالعيارين والشطار، وكانت هذه الطبقة مغلوبة على امرها تميزها مظاهر الطبقة الفقيرة وهي الفقر والحرمان والفاقة والحاجة الملحة، فهي سعي دائب وراء لقمة العيش وكان الكثير منهم من اهل الذمة، وبفضل اعتناء الدولة العباسية وتشجيعها للصناع وأرباب الحرف اصبحت لبعض الصناعات العراقية شهرة عالمية وخاصة الصناعات النسيجية وكذلك المزارعين من سكان القرى والارياف في العراق الذين كانوا يشتغلون بالزراعة وفلاحة الارض. لقد كانت هذة الفئه من الطبقة العامة تمثلت الغالبية من سكان العراق في العصر العباسي، أما العيارون فقد كانوا ينتمون الى طبقات الشعبية الكادحة وهم فئة من العامة اندفعوا الى تحسين احوالهم الاقتصادية المزرية باتخاذ مختلف الطرق من السلب والنهيب والسرقات مستخدمين في ذلك السلاح لتحقيق اهدافهم، وكذلك الشطار الذين هم فئة من العامة ايضا تعمل هي الاخرى في اعمال السلب والنهب وقطع الطرق واستخدام الطرق والوسائل العنيفة لتحقيق مآربهم وقد نشطوا خلال حوادث سنة (197هـ / 812 م) على اثر حصار بغداد، وبهذا كشفت بغداد وغيرها من سائر المدن العراقية عن آلاف مؤلفة من الشطار باعمال السلب والنهب وقطع الطرقات وهذا ما يدعوا الى ان تلك الاعمال ما هي الا نتيجة لما كانت تعانيه العامة من انحطاطاوضاعها السياسية والاقتصادية،ومع ذلك فقد كانت لهذه الطبقة دورها الكبير في المجتمع العراقي من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

الكلمات الدالة: الحياة الاجتماعية، الحياة الاقتصادية، الطبقة العامة، المجتمع العراقي، العصر العباسي.

1.المقدمة

دراسة المجتمع العربي الاسلامي من موضوعات التاريخ الهامة، التي تكشف لنا عن مظاهر الحضارة الاسلامية التي لم تكرس لها جهود كافيةللكشف عنها وابرازها للعيان.وقد ابرزت بعض صفحات تاريخنا المشرق التركيب الاجتماعي لطبقات المجتمع الاسلامي المتعددة فاستمد هذا البحث تلك المادة من مظان متعددة وتناولالتاريخ الذي صنعه المجتمع العراقي وخاصة الطبقة العامة منه والتي تضم في تكوينها الصناع والحرفيين والزراع والفئات الدنيا من المجتمع كاصحاب المهن الوضيعة في نظر المجتمع آنذاك كالسقائين وباعة الدقيق والسماكين والنخاسين والدباغين والحمالين وغيرهم كثير كاللصوص وقطاع الطرق والعيارين والشطار وهذه الطبقة مغلوبة على امرها تميزها ابرز سمات الطبقة الفقيرة وهي الفقر والفاقة والحاجة الملحة، فهي في سعي دائب وراء لقمة العيش، ومع ذلك فان هذه الطبقة كان لها دورها في المجتمع رغم ان طبقة العيارين والشطار كانت مصدر ازعاج لغيرها من الطبقات فان هؤلاء اللصوص و قطاع الطرق كانوا يضطرون الحكام على ابداء الاصلاح لانهم لم يلجئوا الى ذلك الا بدافع الحاجة الشديدة، ان الصناع والحرفيين وصفوا بالعمل اليدوي والجهد العضلي كانوا يعملون من خلال مهنهم المنوعة في التصوير والحفر والنقش والصبغ وغير ذلك، وغرضهم في ذلك هو اصلاح احوالهم المعيشية، وكانت طبقة الزراع تضم الى تكوينها المزارعين وهم سكان القرى والأرياف في العراق وكانوا يشتغلون بالزراعة وفلاحة الارض، وكانت تمثل الغالبية العظمى من سكان العراق في العصر العباسي. و ينتمي العيارون الى هذه الطبقات الشعبية الكادحة وهم فئة من العامة، اندفعوا الى تحسين احوالهم

وتوصلوا في ذلك بالنهب والسلب والسرقات، مستخدمين السلاح وكذلك الشطار فهم فئة من العامة تعمل هي الاخرى على السلب والنهب وقطع الطرق واستخدام القتل وغيره من الوسائل العنيفة.

كانت الطبقة العامة في المجتمع العراقي في العصر العباسي الاول تتكون من الشرائح الاتية:–

2.الصناع و الطوائف الحرفية

هم طائفة من الناس وصفوا بانهم يعملون بأبدانهم وأدواتهم في مصنوعاتهم المكونة من الصور والنقوش والاصباغ والاشكال وغرضهم طلب العوض عن مصنوعاتهم لصلاح معيشة الدنيا (1)، وكان الصناع يقسمون من حيث العمل الى فئتين الاولى تضم المشتغلين بأجرة وهم الصناع الذين يعملون في المؤسسات الخلافية، وفي دور الضرب او في المحلات التجارية الكبيرة، والثانية يشتغلون لحسابهم الخاص بما في ذلك المبتدئين (2)، وعلى رغم من ان الصنائع كانت وراثية يأخذها الابناء عن الاباء (3)، الا ان الافراد كانوا يخيرون في المهنة التي يريدون مزاولتها (4)، ولكن الابناء اذا تعلموا صنعة آبائهم وجدادهم حذقوها وبرعوا فيها (5)، ولا يمكن ان يجاريهم المبتدئون. ويبدوا ان معظم المشتغلين في الصناع كانوا من اهل الذمة فقد جاء ان اكثر الخياطين والصباغين والاساكفة والخرازين كانوا من اليهود بينما كان اكثر المسيحين صيارفة وتجاراً، ومع ذلك فقد كانت روح التسامح تسود بين مختلف الفئات(6)، كما اشتغل في الصناعة عدد كبير من الرقيق الذين كانوا يُشترون من قبل اصحاب الصنائع كل حسب اختصاصة، فمنهم الصباغون والخياطون والقصارون(7)، والاساكفة والحدادون والرفاؤون والمطرزون والنجارون والوراقون والعطارون وغيرهم (8)، وكان من الطبيعي ان تقوى الرابطة الاجتماعية بين اصحاب الصنائع المختلفة ويشعر كل صانع برابطة الانتماء الى اصحاب حرفته وصنفه (9)، وقد ساعدهم هذا الشعور على ان يجتمع اصحاب حرفة منهم في سوق واحدة بالنسبة لمختلف المهن متبعين في ذلك مأثور قولهم "الصناعة نسب" (10)، وبلغ التماسك حد العصبية للمهنة الواحدة والاعتزاز بها (11)، ومما يشير الى تعاونهم و تضامنهم ان احدهم اذا خدم زميلاً له ابى ان ياخذ منه أجراً، فقد ذكر ان حجاما ابى ان ياخذ اجرة حجام زميل له "لانهم اهل صناعة واحدة" (12)، وكثيراً ما عقد اهل المهنة الواحدة الاجتماعات للتشاور وللتباحث في امور مهنهم (13)، و لقد ظهرت تنظيمات لاهل الحرف فكان لكل حرفة رئيس من اصحابها تعينه الحكومة وتعترف به و يسمى شيخ الصنف(14)، او الرئيس (15)، ويليه الاستاذ (16)، وهو المقدم في الصنف يأتي الصانع وهو الذي تعلم المهنة ويستطيع فتح حانوت خاص به وممارسة صنعته بصورة مستقلة (17)، ويليه المبتدأ وهو الذي ينتمي الى الصنف ويتدرب على ايدي الصانع (18). وقد أدت التنظيمات الى نشأة النقابات التي كانت تستهدف تبادل المعونة والدفاع عن مصالحهم (19)، وكان لاهل المهنة الواحدة عُرفٌ جارٍ بينهم فذكر ان جماعة من الغزاليين اختصموا الى شريح القاضي في شيئ فقالوا: "سنتنا بيننا كذا وكذا، فقال: سنتكم بينكم" (20)، وكان الصناع في العصر العباسي الاول يمتلكون حوانيت خاصةبهم يعملون فيها وكان البعض منهم يعمل بأجرة يومية عند اصحاب الدكاكين وغالبا ما كان اصحاب الدكاكين والصناع يقضون اوقاتهم في بيع منتجاتهم في الاسواق كما في العصور الوسطى الاوروبية،حيث كانت تباع كل سلعة معينة في سوق خاص بها (21)، ويبدوا انه لم يكن هناك حد ادنى لمستوى الاجور اليومية، بل كان الامر متروكاً للاتفاق بين العامل وصاحب العمل ويتم ذلك قبل البدء في العمل(22)، وقد اشير الى العمال الذين كانوا يشتغلون باجرة يومية مضمونة وليس بالانتاج لا يخلصون في عملهم فكثيرا ما كانوا يضيعون بعض الوقت من العمل "اما بالتبثط، اي: التباطؤ في العمل او اصلاحآلات العمل،مثل ان يحد النجار الفأس والشقاق والمنشار" (23)، وان مثل هذة الاساليب كانت تشكل نوعا من الخيانة لصاحب العمل ومع ذلك فانها "اصبحت عادة متبعة" (24)، وكان المحتسب هو الشخص المسؤول عن امر العلاقة ما بين العامل ورب العمل "فاذا تعدى مستاجر على اجير في نقصان اجره، او استزادة عمل كف عن تعديه، وكان الانكارعليه معتبراًبشواهد حاله" (25)، وقد ظهر في العصر العباسي عاملات الى جانب الصناع كن يزاولن مهناً مختلفة فضلاً عن قيامهن باعباء بيتوهناليومية (26)، كاشتغالهن بأعمال الغزل (27)، والبعض كخبازات في بيوت الموسرين لقاء اجر معلوم (28)، وبفضل اعتناء الدولة العباسية وتشجيعها للصناع وأرباب الحرف اصبحت لبعض الصناعات العراقية شهرة عالمية وخاصة ما يتعلق بالصناعات النسيجية فقد اشتهرت محلة العتابين ببغداد بنسيجهاالحريرى الذي اكتسبشهرة عالمية بذلك، حتى ان بعض مدن الاندلس انشات مصانعاً او دوراً النيسج فيها كالعتابي (29)، الذي سميت بهذا الاسم تقليدا كالثياب التي كانت تنتجها محلة العتابية ببغداد(30)، واشتهرت محلة التستربيينببغداد بعمل الثياب التسترية (31)، ولهذا وصفت صنائع بغداد بانها أفخر الصنائع (32)، ووصف صناعها بانهم اهل البراعة في كل صناعة(33)، كما اشتهرت مدينة الموصل بصناعة النسيج الموصلي الذي عرفه العالم باسم الموسلين Moseline(34)، الى جانب هذة الصناعات كانت هنالك صناعة الستور والبسط (35)، والأُزُر والعمائم الرفيعة وألوان المناديل السامانية (36)، وكذلك

اشتهرت البصرة بصناعة الصابون والزجاج(37)، ومدينة الكوفة بكوفياتها الحريرية (38)، وكانت هذة المنتجات الصناعية تباع عن طريق الوكلاء والتجار.

3.المزارعين

وهم سكان القرى والارياف في العراق وكانوا يشتغلون بالزراعة وفلاحة الارض، ولا شك ان المعلومات عنهم خاصة فيما يتعلق بطرق حياتهم اليومية وحياتهم الاجتماعية قليلة لعدم اهتمام الكتابوالمؤرخين بهذه الناحية،لقد كانت هذة الفئة من الطبقة العامة وتمثل الغالبية العظمى من سكان العراق في العصر العباسي الاول، ويبدوا انهم لم يمتلكوا الاراضي الزراعية بل كانو مزارعين بأجر او عقود، بدليل ان الاراضي الزراعية الشاسعة كانت بيد رجالات الدولة وشيوخ القبائل العربية حيث ورد: "ان العرب ملكوا الضياع والاراضي وزرعوا الارض مالا تجاسر الاكرة على زراعته وطالبوا بالخراج" (39)، ولا نستعبد ان يكون العبيد الزنج الذين جلبهم العباسيونوبقايا الزط الذين جلبهم الحجاج بن يوسف الثقفى هم الذين اشغلوا بالزراعة (40)، ومما شجع الناس علىالاقدام على مهنة الزراعة هو كثرة الارباح من غلات الاراضي، وقد قدرت غلة الخيزران من ضياعها بـــ"مئة الف الف وستين الف الف درهم " (41)، وقد وجه الخلفاء العباسيون عنايتهم الى تشجيع الزراعة وتحسين حالة الزراع لانهم كانوا يعتبرون ازدهار الزراعة وفلاحة الارض من اول الواجبات التي يفرضها الدين الحنيف (42)، فضلا عما كانت تدره من ارباح كبيرة لبيت مال المسلمين، فوضعوا المشاريع والخطط الزراعية التي من شانها زيادة الانتاج الزراعي وبالتالي زيادة دخل الدولة وتوفير حياة افضل للزراع، ومنع الزراع من الهجرة الى المدن خشية تناقص الايدي العاملة في القرى (43)، ثم عملوا على اتباع سياسة حكيمة ترمي الى عدم ارهاق المزارعين بالضرائب، واول من اهتم بذلك من خلفاء بني العباس هو الخليفة ابو جعفر المنصور، فقد ألغىالضريبة النقدية التي كانت تفرض على الحنطة والشوفان وأحل محلها نظام "المقاسمة" وهو دفعالضرائب نوعاًبنسبة خاصة من المحصول، على ان النظام النقدي القديم ظل على النخيل والفواكه وأشباهها، وحين تولى ابنه المهدي الخلافة قام بتطبيق النظام الذي ادخلة ابوه من قبل(44)، ولما كان الماء ضرورياً لقيام زراعة ناجحة بذل الخلفاء العباسيون وعلى رأسهم ابو جعفر المنصور جهدهم من اجل ايصال المياه الى اراضي الزراعية كافة،ففتحوا القنوات الجديدة وطهروا الترع القديمة وكان اول هذة القنوات نهر الرفيل "الذي ياخذ مياهه من الضفه اليسرى لنهر الفرات عند قنطرة دمما" (45)، وهنالك نهر اخر سماه اليعقوبي "نهرعيسى الاعظم" (46)، نسبة الى الامير العباسي عيسى بن علي،وكان يأخذ مياهه من نهر الفرات ايضا ويسقى بها المناطق الزراعية الواقعة في الجهة الغربية من مدينة بغداد (47)، وكان يتفرع من نهر عيسى فروع كثيرة كنهر الصراة الكبير الذي يصل الى الجانب الجنوبي الغربي من المدينة المدورة (بغداد)عند الجسر القديم بالقرب من باب الكوفة، ومن هنا ينحرف حول سور المدينة فيمر من امام باب البصرة ويستمر في الجريان نحو الشمال الشرقي مسافة قصيرة،حتى يصب في دجلة تحت بساتين قصر الخُلد التي تقع خارج باب البصرة (48)، وكان يتفرع منه انهار كثيرة لعمارات الناحية (49)، اما الانهر الاخرى التي كانت تتفرع من نهرعيسى فهي "نهر رزين، ونهر البزازين،ونهر الدجاج، ونهر القلائين" (50)، و يقال ان الذي فتح هذة الانهر هو الخليفة ابو جعفر المنصور لإرواء منطقه الكرخ (51)، هذا الى جانب الانهار العديدة التي كانت تاخذ مياهها في نهردجلة وتسقى بها الاراضي الزراعية الواقعة في الجهة الشرقية من هذا النهر،اهمها:نهر النهروان الذي يتفرع من الجانب الايسر من نهر دجلة قرب سامراء،فيمتد بمحاذاة نهر دجلة من جهة الشرق مسافة اكثر من مئة كيلومتر، حتى يلتقي اخيرا بنهر دجلة بالقرب من اراضي مدينة الكوت الحالية (52)، وعلى هذا النحو ازدهرت الزراعة وانتعشت حالة الزراع بفضل اهتمام الخلفاء العباسيين بهذه النواحي الزراعية.وقد كانت الحاصلات التي ينقلها الزراع من قراهم الى الاسواق كثيرة ومتنوعة منها: القمح، والشعير، والارز، والبلح، والسمسم، والقطن،والكتان (53)، ومن الفاكهة انواع كثيرة و متعددة منها البطيخ(54)، والتين (55) والتفاح، والكمثرى، والخوخ(56)، اما من ناحية الثروة الحيوانية فكانت كثيرة وذلك لموازاتها مع الزراعة فكلما كانت الزراعة متطورة وكثيفة ومتنوعة يصاحبها كثرة الثروة الحيوانية ايضا وهذا معروفٌ من الناحية الاقتصادية في الفترات التاريخية، وكانت الثروة الحيوانية تمثل الدواب مثل المواشي (57)، وكذلك الجاموس(58)لتوفرمياه الانهار، وكما هو معروف ان الجاموس يعتمد كثيرا على مصادر المياه وقضاء فترات طويلة في الغطس بالمياه. بالاضافة الى انواع من الطيور الداجنة بصورة عامة (59).

4. العيارون

هم طائفة من الطبقة العامة برزوا في اواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وبالتحديد اثناء النزاع بين الامين والمامون وعلى اثر حصار بغداد سنة (197هـ/812م) من قبل الجيوش الطاهرية الخرسانية،حيث استنجد الخليفة الامين بطائفة العيارين بعد ان عجز جنوده عن الدفاع عن بغداد،ومنذ ذلك التاريخ ظهر العيارون على مسرح الاحداث، ويبدوا انهم اتخذوا لانفسهم اسم الفتيان بدليل ان كلمة الفتى اصبحت مرادفة لكلمة العيار،كما وصف شجاعتهم أحد شعراء بغداد بالقول:

ليس يدرون ما الفـــــرار اذا الابطال عاذوا من القنا بالفرار

واحد منهم يشـــد علـــى ألفين عريان مـــــاله مـــــن ازار

يقول الفتي اذا طعن الطـــعنة خذهـــــــامن الفتا العـــــيار(60)،

وقد قام العيارون بحركات اجتماعية تهدف الى تحسين احوالهم بالعديد من الطرق كالنهب والسلب والسرقات، مستخدمين السلاح فقد كانوا يشعرون بانهم مهملون من قبل اصحاب النفوذ والسلطة وان ظروفهم المعيشية سيئة للغاية، ولهذا اندفعوا بتاثير الحاجة وظروفهم الاقتصادية الصعبة الى القيام بسرقة الحوانيت والاسواق وبيوت الاغنياء (61)، لذلك فقد كانت حركاتهم شعبية تمثل صراعاً طبقياً، ولاقت حركتهم تأييداً وقبولاً شعبياً باعتبارها تدعوا الى تطبيق فكرة العدالة الاجتماعية المساواة والقضاء على التوزيع غيرالعادل للثروة بطرق غير مشروعة (62)، و ذهب احد المؤرخين الى تعليل حركة العيارين برغبة الطبقة المحرومة في اخذ ثأرها من الاثرياء (63)، ومما يؤكد ذلك ما جاء على لسان الخليفة الامين حين قال: "وددتُ ان الله قتل الفريقيين جميعاً فأراح الناس منهم،فما فيهم الاعدو لي، اما هؤلاءفيريدون مالي، واما اولئك، فيريدون نفسي" (64)، ويبدو ان اكثر العيارين كانوا من غير العرب كما يستدل ذلك من اسمائهم من أمثال: نبتويه، وخالويه،وبكويه، كما يبدو ايضا ان اعدادهم كانت كثيرة فقد ذكر انهم عندما ثاروا في بغداد لنجدة الامين بلغوا نحو مئة الف(66)، ومما يشير ايضاً الى كثرة عدد العيارين ماقيل عنهم بأنهم كانوا "اذا تحركوا من بغداد هلكوا" (67)،وكانت لهم تنظيمات عسكرية أشبه بتنظيمات الجيوش،فكان على كل عشرة منهم عريف، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب، وعلى كل عشرة نقباء قائد، وعلى كل عشرة قواد امير(68)، واتخذوا لانفسهم رسوماًخاصة لتميزهم عن غيرهم فكانوا يقاتلون عراة وفي اوساطهم مآزر واتزروا لرؤوسهم ودواخل من خوص سموها الخوذ، وورقاً من الخوص والبواري قد قرنت وحشيت بالحصى والرمل (69)،وكان من اسلحتهم المقاليع والحجر الى جانب السيوف والاقواس والرماح(70)،وعلى الرغم مما كان ينقصهم من الخبرة العسكرية فقد امتازوا بالصبر وشدة البلاء والجلد في المواقف الحرجة وفي النكبات، كما عرفوا بمهارتهم في رمي الحجر بالمقلاع، فقد روى المسعودي ان أحد قادة الفرسانسأل أميره طاهر بن الحسين "ان يجعل له الحرب في يومها له فيه، ففعل طاهر له ذلك، فخرج القائد وقد حقرهم وقال:ما يبلغ من كيد هؤلاء ولا سلاح معهم، مع ذوي البأس والنجدة والسلاح والعدة؟فبصر به بعض العراقوقد راماه مدة طويلة حتى فنيت سهام القائد، وظن ان العريان فنيت حجارته، فرماه بحجر في المخلاة، وقد حمل عليه القائد، فما أخطأ عينه، وثناه بحجر آخر، فكاد يصرع القائد عن فرسه، ووقعت البيضة عن رأسه، فكر راجعاً، وهو يقول: ليس هؤلاء بناس، هؤلاء شياطين" (71)،والى جانب هذه التنظيمات العسكرية كانت لهم تنظيمات مدنية،فكان منهم الشيخ والاستاذ (72)،والاستاذ عندهم اعلى مرتبة في التنظيم، ثم الرئيس (73)، وهو الذي يرأس المجموعة من الفتيان الذين هم بمثابة تلاميذ يدربهم على اعمال العيارة (74)، ويشير الجاحظ الى وجود قاض للفتيان وهو ابو الفاتك (75)،وكان لهم مراسيم خاصة يتبعونها عند احتفالهم بانتماء اعضاء جدد في زمرتهم فكانوا يُلبسون العضو الجديدسراويلخاصةتسمى: "سراويلالفتوة" (76)،ويشربون أنخاباً من النبيذ احتفاءً بهذا العضو الجديد (77)، وكانوا يمتدحون بكثرة الشباب في مثل هذه المراسيم (78)، واخذ العيارون يزدادون القوة بقدر ما كانت الدولة العباسية تزداد ضعفا و خاصة في اواخر العصر العباسي الاول و بداية العصر العباسي الثاني، فتكاثرت هجماتهم واعتداءاتهم على المدن العراقية عامة وعلى بغداد خاصه،فكانوا يسلبون عمائم الناس وياخذون ثيابهم من الحمامات علنا، ويقتلون من ظفروا به من اتباع صاحب الشرطة،وينهبون الدكاكين وصار الناس منهم في ويل عظيم (79). ومن الغريب انه الى جانب هذهالاعمال اللااخلاقية التي كانوا يقومون بها ترى بعض الصفات الحسنة الخاصة بهم فقد ذكر عن ابي الفاتك وهو قاضي الفتيان انه قال: "الفتى لا يكون نشالا، ولا نشافا، ولا مرسالا، ولا نكافا، ولا مصاصا،ولا نفاضا، ولا دلاكا، ولا مقورا، ولا مغربلا (80)، فقد روى التنوخي عن ابن حمدون – وهو احد رؤساءهم – انه كان لا يتعرض لاصحاب البضائع القليلة التي يكون دون الالف فاذا تعرض لقليلي الامكانيات قاسمهم عليه وترك شطر ماله في ايديهم، وانه لم يكن يفتش امراة ولا يسلبها (81)، وكان ابن حمدون هذا يعلل سبب قطعه الطريق واخذه اموال الناس بان السلطان قطع ارزاقهم فأحوجهم الى هذا (82)، ويتضمن هذا دليلا اخر على الدوافع الاقتصادية التي تكمن وراء حركتهم كلها.

5. الشطار

هم فئة من العامة نشطوا خلال حوادث سنة (197 هـ / 812 م) وعلى اثر حصار المامون للامين في بغداد وبهذا كشفت بغداد وغيرها من سائر المدن العراقية عن آلاف مؤلفه من الشطار الذين لا يملكون من اسباب العيش غير ادوات الجريمة فقاموا بحركات تشبه الى حد كبير حركات العيارين التي قاموا بها في مثل هذه الظروف، وهذا ما حدا بكثيرمن

المؤرخين الى الخلط بين الشطار والعيارين، لقد قام شطار باعمال السلب والنهب وقطع الطرق التي لم تكن في نظرتهم من اعمال اللصوصية، وانما كانوا يعدونها حرفة مشروعة باعتبار انما يستولون عليه من اموال التجاروالاغنياء هي زكاة تلك الاموال التي اوصى الاسلام باعطائها للفقراء (83)، وهذا ما يدعوا الى تلك الاعمال ماهي الا نتيجة لما كانت تعانيه عامة من انحطاط في الحياة السياسية والاقتصادية (84)، وقد اتبع الشطار وسائل واساليب خاصة لاجتذاب الاتباع الى جماعتهم ودعوة الشباب الى الانخراط في صفوفهم وقد عبر الجاحظ عن ذلك بقوله: "وان الشطار ليخلوا احدهم بالغلام الغرير فيقول له:لا يكون الغلام فتى ابدا حتى يصادق فتى والا فهو تكش، والتكش عندهم الذي لا يؤدبه الفتى ولم يخرجه" (85)، فيتاثر الغلام بسرعة اذا كان له ادنى ميل الى الفتوه،وقد اوصى عثمان الخياط وهو احد رؤساء الشطار اللصوص، فقال: عليكم باتخاذ الغلمان، فان غلامك هذا انفع لك من اخيك واعون لك من ابن عمك (86)، وكان من عاداتهم لبس الازار وشرب النبيذ وان شربهم نخب القادم الجديد والاشارة الى الازار تنبئ عن مراسيم خاصة للانتماء اليهم (87)، وقد اشير الى انهم كانوا يأتزرون بمئزر يعرف بمئزر الشطار كما ان المحلات التي تجري بهاهذه المراسيم كانت بعيده عن عيون الناس (88)، وهم في ذلك يشبهون العيارين، وكانوا يفتخرون بانفسهم ويعتزون بقوتهم وقدرتهم فيقولالواحد منهم:انا الموج الكدر،انا القفل العسر وانا النار، انا العار، انا الرحى، اذا دار مشيت اسبوعين بلا رأس، و اكلت جميع ما في قدور الهراس اقطف راسك واجعله زر قميصي استقيك فلا اعطشك الا في الجحيم ويلك لو كلمني الفيل لم يجرس،او البحر لم ينبس، او عضني الكلب لم يغرس او زارني النمر ود التقدس، اصدقائي اكثر من خوص البصرة وخردل مصر، وعدس الشام، وحصى الجزيرة، وشوك القاطول، وحنطة الموصل وقصب البطائح، ونبق الاهواز(89). ويبدو ان الشطار كانوا اكثر عددا من العيارين بدليل انهم اكثر انتشارا في الدولة العباسية واطول بقاء منهم(90)، ويفهم من وصية عثمان الخياط انه كان لهم لباس خاص يتزينونبه فمن قوله: "دعوا العمائم، وعليكم بالقناع، والقلنسوة كفر، والخطف شرك" (91)،وكانت لهم تدابير وخطط خاصة بالسرقة فذكر بانهم كانو "يأتون بالرجل يسالونه مالاً يقرضهم او يصلهم فيمتنع عليهم فياخذون جميع مافي منزله" (92)، كما انهم كانو يتبعون الوسائل والخطط الاجرامية عند قيامهم بالسرقة، فكانوا يستدرجون الشخص المراد سلب ما معهبحيلة لايفطن اليها مع التظاهر بالبراءة ومن طباع الشطار الزهد عن حب النساء ايضا(93)، وكذلك الانصراف عن سماع الموسيقى والاستعاضة عن شرب الزبيب المطبوخ بنبيذ التمور واتصفوا من صفات اللصوص، ومن محاسنهم ايضاً ارتداء بعضهم ثياب الامراء والاستنارة بالعلم والادب فقد ذكروا ان "ابن سيار كان يتزي بزي الامراء لا بزي القطاع، وكان كلامه يدل على فهم و ادب، وهو رجل فاضل يروي الشعر ويفهم النحو"(94). ثم نشطت حركة الشطار و تزايدت زيادة ملحوظة في اعقاب الاضطراباتالتي حدثت في سنة (201هـ/ 816م) على اثر خلع العراقيين للخليفة المأمون ومبايعة عمه ابراهيم بن المهدي بالخلافة فاشتد نشاطهم في هذه الفترة حتى نال الناس منهم ضرر عظيم، واستلزم الامر ان فريقا من الناس جندوا انفسهم لمدافعة هؤلاء الشطار الذين افسدو الحياة في العراق عامة وبغداد خاصة بعد ان عجزت السلطة في الحاكمة عن القضاء عليهم لانشغالها بالازمة السياسية العصيبة، فقد ذكر المؤرخون ان رجلا يدعى خالد الدربوش دعى الناس سنة (201هـ/ 816م) الى المعروف و نهاهم عن المنكر واجاب خلق كثير منهم وقاتل اهل الزعارة فغلبهم واطلق يدهم فيهم بالعزم والتنكيل، وخلفه رجل اخر من اهل سواد بغداد يعرف بسهل بن سلامة الانصاري ويكنى اباحاتمالذي علق مصحفاً في عنقه و امر الناس بالمعروف و نهاهم عن المنكر ودعاهم الى العمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه و سلم، فاتبعه الناس كافه بين الشريف والوضيع و نزل قصر طاهر، واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من اخاف المارة ومنع الخفارة لاولئك الشطار (95)، وعلى هذا النحو اخذت حركة الشطار في العراق تنقرض تدريجيا، حتى تلاشت بفضل الحركة المضادة التي قامت بها الاهالي ممن دفعتهم الغيرة على مصالحهم، والرغبه في توطيد دعائم الامن في وقت سادت فيه الفتن والفوضى في البلاد.

6.الخاتمة والاستنتاجات.

بعد هذا العرض الموجز عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للطبقة العامة في المجتمع العراقي في العصر العباسي تبين لنا ما يلي:

1 – ان الدراسات التاريخية من النواحي الاجتماعية والاقتصادية لها اهميتها، إذ انها تكشف عن المظاهر الحضارية بصورة عامة، بالاضافة الى الظواهر الاخرى.

2 – ان المجتمع العراقي في العصر العباسي كان مجتمعا طبقياً، وبين هذه الطبقات فوارق اجتماعية واقتصادية كبيرة بين الطبقات وبون شاسع بين الموسرين والفقراء سببها فقدان العدالة في توزيع الثروة.

3 – كان للطبقة العامة في المجتمع العراقي دور كبير في مسيرة الاحداث السياسية اضافة الى الجوانب الاقتصادية.

4 – كان للدولة العباسية دور كبير في تطوير المهن والصناعات، وذلك من التشجيع المستمر والدعم للصناع وأرباب الحرف، فاصبحت للصناعات العراقية شهرة واسعة وخاصة الصناعات النسيجية.

5 – أدت مظاهر الفقر والحرمان والفاقة والحاجة الملحة الى انحدار شرائح كبيرة من الطبقة العامة الى القيام بأعمال أخرى غير شرعية ومنافية للقيم والاخلاق الاسلامية كأعمال اللصوصية والسلب والنهب وقطع الطرق وغير ذلك، وأدى ذلك الى ظهور العيارين والشطار.

7.الهوامش

(1) اخوان الصفا:– رسائل اخوان الصفاء و خلان الوفاء ، اعتناء خير الدين الزركلي ، القاهرة (1347هـ/1928م) ، 217/1

(2) الدوري، عبدالعزيز ، نشوء الاصناف والحرف في الاسلام ، مقالة في مجلة كلية الاداب – جامعة بغداد العدد 1 حزيران 1959 ، ص153.

(3) اخوان الصفا: الرسائل ،223/1

(4) الدوري : نشوء الاصناف والحرف في الاسلام ،ص154.

(5) اخوان الصفا:الرسائل ،223/1

(6) ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم الخراج ، طبعة القاهرة 1352هـ،ص64

(7) Dozy; Supplement Aux DictionnariesArabesBeyrouth1968 Vol2 P365.

(8) الصابي : ابي الحسن الهلال بن محسن ، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء تحقيق عبدالستار احمد فراج القاهرة 1958، ص22.

(9) العلي : احمد صالح، التنظيمات الاجتماعية و الاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ط2 بيروت 1996،ص92.

(10) الجهشياري : ابي عبدالله محمد بن عبدوس، الوزراء و الكتابتحقيق مصطفى السيقا واخرون ط1 القاهرة 1938،ص20

(11) الدوري نشوء الاصناف و الحرف في الاسلام ، ص142.

(12) الحموي ،ياقوت ، شهاب الدين عبدالله ، معجم البلدان طبقة دار صادر بيروت 1957، 370/1.

(13) البغدادي : الخطيب ، ابي بكر احمد بن علي ، تاريخ بغداد ، تصحيح حامدالفقي القاهرة 1931، 176/1.

(14) اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر ، البلدان مطبوع مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته طبعة لبدن 1891، ص248.

(15) التنوخي: ابو علي المحسن بن علي ، الفرج بعد الشدة ،القاهرة 1955 ،232/2

(16) اخوان الصفا:الرسائل ، 225/1

(17) اخوان الصفا: الرسائل ، 225/1

(18) اخوان الصفا: الرسائل ، 225/1

(19) لويس برنارد: العرب في التاريخ ،ترجمة نبيه امين فارس ، ط1 بيروت 1954 ، ص130.

(20) وكيع : محمد بن خلف بن حيان ، اخبار القضاة ، تحقيق عبدالعزيز مصطفى المراغي ط1 القاهرة 1947، 372/2.

(21) Bartold: The age of the caliphs leiden brill,1960,p53

(22) البغدادي:تاريخ بغداد 143/2

(23) ابن الجوزي، ابى الفرج عبدالرحمن بن على ،نقد العلم و العلماء ،او تلبيس ابليس،تصحيح محمد منير، الدمشقي.القاهرة ،بلا ت ص384

(24) ابن الجوزي :تلبيس ابليس ص385.

(25) الماوردي ابي الحسن علي بن محمد، الاحكام السلطانية ط1 القاهرة 1929،ص 221.

(26) الغزالي: ابو حامد محمد بن محمد ، احياء علوم الدين ، مطبعة الحلبي و اولاده القاهرة 1938 ، 32/3.

(27) ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص384

(28) ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك و الامم مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد الدكن 1959 ، 169/1.

(29) الادريسي: صفة المغرب و ارض السودان و مصر و الاندلس ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق نشر دي غوية ليدن 1866 ، ص197.

(30) تصنع الثياب العتابية من الحرير و القطن و بالوان مختلفة مختلفة، ابن جبير ، محمد احمد، رحلة ابن جبير ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة 1955، ص212

(31) ياقوت الحموي: معجم البلدان 31/5.

(32) ابن حوقل: ابي القاسم النصيسيني الموصلي ، صورة الارض ، نشر دار الحياة بيروت .د.ت ص21.

(33) ابن الفقية : ابوبكراحمد بن ابراهيم الهمداني ، مختصر كتاب البلدان نشر دي غوية ، ليدن 1885 ، ص241،

34) Migeons(Gaston): manuol dart musalman vol-11-Paris1907 P378 .)

(35) ابن الفقية : مختصر كتاب البلدان ص 241.

(36) كي ، سترانج: بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشيرفرنيس و كوركيس عواد، بغداد 1954، ص109.

(37) ابن حوقل : صورة الارض ، ص 214 ، المقدسي : ابو عبدالله محمد بن احمد ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، اعتناء دي غوية ط2 ليدن 1906 ، ص 217

(38) ابن حوقل : صورة الارض ص 215.

(39) التنوخي : الفرج بعدة الشدة ، 131/1.

(40) محمود الشريف،حسن احمد ابراهيم :العالم الاسلامي في العصر العباسي ط1،القاهرة1966 ص192.

(41) المسعودي : ابي الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب و معادن الجوهر تحقيق محمد محي الدين القاهرة 1958، 257/3.

(42) امير علي : مختصر تاريخ العرب ، ترجمة رياض رافت القاهرة 1938 ص 264.

(43) احمد صالح العلي : التنظيمات الاجتماعية الاقتصادية ص 88.

(44) البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة 1957 ، ص357.

(45) الاصطخري: ابي اسحاق ابراهيم بن محمد ، المسالك و الممالك باعتناء دي غوية ، ليدن 1927 ، ص89 ، البغدادي ، تاريخ بغداد ، 1–111.

(46) اليعقوبي : البلدان ص 250.

(47) احمد سوسة : فيضانات بغداد في التاريخ ، القسم الاول ، بغداد 1963، ص213.

(48) كي لسترانج:بغداد في عهد الخلافة العباسية ،ترجمة بشير يوسف فرنسيس، ط1بغداد 1936، ص 136

(49) ابن حوقل، صورة الارض ، ص217.

(50) جواد دسوسة : مصطفى جواد و احمد سوسة ، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما و حديثا مطبعة المجمع العلمي العراقي 1958، ص81–82

(51) خضري : محمد ، تاريخ الامم الاسلامية ، ط3، القاهرة1930، 107/3

(52) جواد دسوسة:دليل خارطة بغداد ص30.

(53) حتي: فليب خوري ، تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، ط3 القاهرة1952 ،440/2.

(54) ابن الجوزي:المنتظم في التاريخ الملوك و الامم ، 70/9.

(55) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والامم 9/ 72

(56) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك و الامم، 247/10

(57) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك و الامم، 231/8

(58) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك و الامم، 231/8

(59) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك و الامم،72/9

(60) ابي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل و الملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة 1966 ، 458/8المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، 318/3

(61) العيارون في ذلك كالصعاليك عند عرب الجاهليه و هم طبقة من المجتمع العربي القديم اصابهم الفقر فتاقوا الى الغنى عن طريق المقامرة و الغزو و قطع الطريق اعتقادا منهم ان المال مال الله من حق المحروم ان ياخذ من الموسر عنوة و قسرا وكان الصعاليك مغامرين يتسمون بالشجاعة و لذلك عدت الصعلكة عند العرب مفخرا لانها طبيعة الشجعان . ينظر:عبدالعزيز سالم ، تاريخ العرب في العصر الجاهلي ، بيروت 1970 ، ص440

(62) نيقولازياده: دراسات اسلامية بيروت1960 ، ص231

(63) الدوري، عبدالعزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجريبغداد 1945 ، ص 68

نشوء الاصناف و الحرف ص 156– 158

(64) ابن الاثير: عزالدين ابي الحسن على بن محمد الشيباتي، الكامل في التاريخ،نشر دار صادر . بيروت 1965، 277/6

(65) الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك 288/9

(66) المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر 315/3

(67) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص130

(68) المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، 315/3

(69) المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر ،314/3

(70) الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، 458/8، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك و الامم ، 45/8

(71) المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، 317/3

(72) التنوخي:الفرج بعد الشدة ، 339/2

(73) التنوخي:الفرج بعد الشدة ، 332/2

(74) التنوخي: الفرح بعد الشدة ، 339/2–344

(75) الجاحظ: ابو عثمان عمر بن بحر، البخلاء، ط1 نشر دار الكتاب العربي– بيروت 1968، ص64

(76) ابن الجوزي، تلبيس ابليس ص378، مصطفى جواد ، الفتوة و اطوارهاو اثرها في توحيد العرب المسلمين، مقالة نشرت في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد 5 لسنة1958 ، ص53

(77) التنوخي: الفرج بعد الشدة 338/2–340

(78) الجاحظ : البخلاء ، ص128

(79) ابن الفوطي: كمال الدين ابي الفضل ، الحوادث الجامعة و التجارب النافعةفي المائة السابعة ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد مطبعة الفرات، بغداد 1351هـ، ص278

(80) الجاحظ: البخلاء، ص64.

(81) التنوخي: الفرج بعد الشدة 333/2

(82) التنوخي: الفرج بعد الشدة 333/2

(83) زيدان، جرجي ، تاريخ المدن الاسلامي ، طبعة القاهرة ، 1902 ،48/5

(84) عبدالعزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص68.

(85) الجاحظ:ابو عثمان عمر بن بحر،الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة،1938، 168/2–169

(86) الجاحظ: الحيوان ، 366/2

(87) عبدالعزيز الدوري،تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص83

(88) الاصفهاني: ابو الفرج ، الاغاني ، طبعة بولاق ، القاهرة ، 1285هـ،91/6.

(89) الجاحظ: نار الدرر ، مجلة المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد 5،47/1958

(90) جرجي زيدان: التمدن الاسلامي ،47/5

(91) الجاحظ: الحيوان 366/2–367

(92) التنوخي: الفرج بعد الشدة، 339/2–340

(93) الجاحظ: الحيوان ، 366/2

(94) التنوخي: الفرج بعد الشدة ، 330/2

(95) ابن الاثير : الكامل في التاريخ،183/5

ژیانا جڤاکی و ئابووریا تەخا گشتی د کومەلگەها عیراقی ل سەردەمێ عەبباسی دا

پوخته:

خواندنا جڤاکا ئیسلامی ئێك ژ بابەتێن گرنگێن مێژوویێ یە ئەوا کو سیمایێن شارستانیا ئیسلامی دیار دکەت و ئەڤ شارستانیە هەتا نوکە ب باشی نەهاتیە دیارکرن و هندەك بەرپەرێن دیروکا ئیسلامی بەحسێ جڤاك و تەخێن کومەلگەهێ بێن جوراوجور دکەن، لەورا ئەڤ ڤەکولینە روناهیێ بەردەدەتە سەر وێ دیروکێ ئەوا ژلایێ جڤاکا عراقێ ڤە هاتیە دروستکرن نەخاسمە تەخا گشتی یا خەلکی ئەوا پێکهاتا وێ ژ پێشەساز و جوتیار و پێشەگەران پێکدهات ئەوژی وەکی دەباغ و ماسیگرو فروشیارێن دان و دکاکی و گەلەکێن دی وەکی (عەییاری و شوتتار). و ئەڤ چینە چینەکا لاواز و هەژار بوون کو نەچار بوون ب بەردەوامی کار بکەن داکو پارووبێ ژیانێ پەیدا بکەن و گەلەك ژ وان ژ (أهل الژمە= نە موسلمان)ـان بوون، و ژبەر گرنگیدانا دەولەتا عەبباسی ب پێشەساز و پێشەگەران هندەك بەرهەمێن عیراقێ بوونە خودان ناڤودەنگیەکا جیهانی نەخاسمە د پێشەسازیا رستنێ دا. ل عیراقێ تەخا جوتیار کو ل گوند و ئافەدانیاندا ئاکنجی بوون مەزنترین تەخا جڤاکیا سەردەمێ عەبباسی پێك دئینان.

پەیڤێن سەرەکی: ژیانا جڤاکی، ژیانا ئابووری، تەخا گشتی، کومەلگەها عیراقی، سەردەمێ عەبباسی.

Social and Economic Life in The Public Class of Iraqi Society in The Abbasid Period

Abstract:

The study of the Islamic community of important historical topics, which reveal the manifestations of Islamic civilization, which did not devote sufficient efforts to reveal and highlight the existence and highlighted some pages of our history of the bright social structure of the various layers of the Islamic community, so the research derived the article from multiple parables and address the history of the community Especially the Iraqi public class, Which includes in its composition the industrialists, craftsmen, farmers and various types of society, such as the profiteers of tanning, Hamalis, Smakin, vendors of flour, hiccups, and many others, such as grooms and rattles. This class was dominated by the characteristics of the poor class: poverty, deprivation, poverty and urgent need. Of whom are from the people of Dharma, Thanks to the patronage and encouragement of the Abbasid state to the craftsmen and craftsmen, some Iraqi industries became famous internationally, especially the textile industries, as well as farmers from villages and rural areas in Iraq who were engaged in agriculture and farming the land. This category of the public class was the majority of the population of Iraq in the Abbasid era, while the caliber were belonging to the layers of popular workers, a group of the public rushed to improve their economic conditions miserable by taking various methods of robbery and theft and theft using the weapon to achieve their goals, As well as the fugitives who are a group of the public also works in the looting and the use of ways and means of violent to achieve their goals have been active during the events of the year (197 AH / 812 AD) after the siege of Baghdad, and thus revealed Baghdad and other cities in Iraq thousands of author This is what leads to the fact that these actions are only a result of the public's suffering from the decline of their political and economic conditions. However, this class has had a great role in Iraqi society in terms of political, social and economic.

Keywords: Social life, Economic Life, Public Class, Iraqi Society, The Abbasid Period.